في جنائن الغرب

اتجهت الافكار في الشهر الماضي الى تولستوي فيلسوف الروس الاكبر وهربه الى الدير ليجتاز في العزلة التامة المرحلة الاخيرة من حياته التي قضاها في البحث عن الحقيقة . فرأينا ان نخصص هذا الباب بشيء من حياته ومبادئه الفلسفية

في ٩ سبتمبر الماضي أنجز تولستوي السنة الثانية والثمانين من عمره . وكان في سنة ١٨٦٢ قد تزوج بابنة الدكتور برس صوفيا أندرڤنا فوجد فيها اكبر تعزية في حياته وأحسن مساعد في أعماله فكانت تعاونه في جميع مذكراته وترتيبها وتنسخ مسودات تآليفه . وفي المدة الاخيرة كان يملي عليها افكاره فتدونها . وقد رزق منها ثلاثة عشر ولداً منهم الآن تسعة احياء . وقد رباهم على مبادىء روسو وتضلعوا كلهم في العلوم واللغات

والذي زاد في شهرة هذا الرجل الكبير تطبيق أعماله على أقواله فقد زهد في هذه الدنيا وتنازل عن جميع ممتلكاته مكتفياً ببقعة ارض يستثمرها بنفسه . وكان يرى ان اصلاح العالم لا يتم الا بالعمل فكان يخيط ثيابه وحذاءه ويقضي ايامه في الارشاد ومساعدة المعوزين . وقد أنشأ في مزرعته « ياسنايا بوليانا » مدرسةً كان يعلم فيها كل يوم بضع ساعات . وله حوادث وحكايات شهيرة تتناقلها الصحف وكلها تدل على شرف عواطفه وأمياله وسمو حكمتهِ وفلسفتهِ . وقد اكتسب احترام الجميع ونال ارفع منزلة بين المفكرين المصلحين في حياتهِ ومماته . ولبست روسيا جمعاء عليه ثوب الحداد . واخذ الناس يحجون الى قبره

أما تآليفه فاشهرها « الحرب والسلم » و « حنة كرنين » و « البعث » الخ . وقد نقلت الى كل لغات أوربا وعرّب منها الشيء الكثير حضرة الفاضل سليم أفندي قبعين . ونحن نقتطف من تعريبه نتفاً تطلع القارىء على مبادىء الفيلسوف الروسي :

مبادي، تولستوي

تنحصر مبادي، تولستوي الدينية والاجتماعية في الوصايا الخمس الآتية :

اولاً — أحبّ الله من كل نفسك واحب قريبك كذلك . لا تهن احداً ، واجتهد بان لا تحرض احداً على فعل الشر ، لان الشرّ يتولّد من الشر

ثانياً — لا تغازل النساء ، ولا تهجر المرأة التي اتحدتَ بها ، لان هجر النساء وتغييرهن يحدثان الفساد في العالم

ثالثاً — لا تحلف بشيء ولا تَعد بشيء ، لان الانسان بكلّيته تحت سلطة الله ، والناس لا يجنحون الى الاقسام إلاّ مدفوعين اليها بالاعمال والنيات الشريرة

رابعاً — لا تقاوم الشرّ بالشر ، واحتمل الاهانة واعمل اكثر مما يطلب منك الناس . لا تحاكم أحداً ولا تدفع نفسك للمحاكمة . والانسان اذا مال الى الانتقام فانه يعلّم الناس ان يحذوا حذوه وينسجوا على منواله

خامساً — لا تفرّق بين مواطنيك والغرباء ، لان جميع الناس من مصدر واحد

وقد شحن الكونت تولستوي مؤلفاته بالنصائح والحكم الفلسفية وكانها على منتهى السذاجة ، وله الفضل على سائر الفلاسفة — كما قدمنا — بانهُ يعمل بما يعلّم واليك شيئاً من أقواله :

لا تعمّ المساواة في العالم ، ولا ينقطع الحسد من بين الناس ، ولا

تزول المنافسة وتفقد البغضاء ، الا اذا سعى كل بنفسه لتحصيل ما يقوم باوده . فيجب على كل واحد ان يُقبل على الشغل واعـداد جميع لوازمه المعيشية بنفسه ، دون ان يعتمد فيها على غيره . فاننا لو نظرنا الى المصائب العديدة التي تحدث بين الناس ، لوجدنا ان أصلهـا الحاجة ، ومصدرها الفاقة . وأما الشرور والآثام والفجور والفساد فان مصدرها البطالة والراحة المتناهية واملاء البطون بالمآكل التي تقود الانسان الى الشهوات وارتكاب الموبقات

ان اقدس واجب على الانسان تفرضهُ عليه الانسانيـة الحقيقية هو سعيه الى ازالة عدم المساواة الموجودة بين الناس ، وبازالتها تزول المصائب والويلات وتتلاشى الشرور والشهوات ، وانّ آمن طريق يوصله الى ذلك هو العمل

قال تولستوي مخاطباً ابن المدُن المتنعم في رخاء العيش المتنـاهي في بذخ الحياة : قمْ واخرجْ من خدرك وطُفْ في المدينة ، وقفْ الى جانب اولئك الذين يطممون الجيـاع ويكسون العراة ، ولا تخفْ . وانتظمْ في سلكهم وسرْ معهم كتفاً الى كتف ، واعمل بيديك الرخصتين الضعيفتين اول عمل تصادفه . ولا تأنف من فقير بائس ، بل ارفق به وألبسه واطعمه ، ثم اشتغل في الزراعة والاعمال الاخرى ، فلا شك في انك ترى نفسك أسعد حالاً مما كنت عليه ، وتجد انقلاباً في عواطفك يساعدك على السير في طريق العمل والطهارة